

# الجارديان: قصف غزة تسبب في تفاقم المظالم الشعبية المصرية



السبت 9 ديسمبر 2023 06:42 م

قالت صحيفة "الجارديان"، إن مشاهدة الإبادة الجماعية وهي تتكشف على عتبة باب المصريين دفع العديد منهم إلى التحرك، من مقاطعة المنتجات الغربية إلى المسيرات الاحتجاجية [1] وأضافت أن الإبادة الجماعية التي ترتكبها إسرائيل في غزة تؤدي إلى زعزعة العلاقات بين الدول والمواطنين في جميع أنحاء الشرق الأوسط [2]

وذكرت الصحيفة في تحليل كتبه "ريم أبو الفضل"، أنه في مصر، دفعت الأحداث تعاون النظام السياسي الغامض مع إسرائيل إلى دائرة الضوء، وأخرجت ملايين المصريين من تركيزهم الداخلي على البقاء اليومي وسط تضخم متصاعد وبطالة [3] وهم الآن يواجهون الخطط الإسرائيلية لإعادة احتلال غزة باستخدام مصر كقناة من خلال إجبار الفلسطينيين على التوجه جنوبًا إلى سيناء [4] وترفض الدولة المصرية ومواطنوها ذلك بشدة، ولكن لأسباب مختلفة [5] وتعكس هذه الخلافات الفجوة بين النظام والسكان التي فتحتها توقيع اتفاقيات كامب ديفيد عام 1978، والتي تتسع أحداثها يومًا بعد يوم [6]

ويتمتع المصريون بتاريخ طويل من دعم القضية الفلسطينية، في سياق الهوية الوطنية العربية المشتركة [7] عارض الجمهور المشروع الاستعماري الصهيوني لأول مرة في الثلاثينيات، وشارك الجيش في حرب فلسطين عام 1948. وفي الخمسينيات من القرن الماضي، عرض "جمال عبد الناصر" دعم الدولة للفلسطينيين وحقق انتصارًا سياسيًا بعد الهجوم الذي شنته إسرائيل وبريطانيا وفرنسا عام 1956، لكنه تعرض للهزيمة في حرب 1967 مع إسرائيل [8] وقد نجح خليفته "أنور السادات" في تحقيق نصر مبكر في حرب عام 1973، عندما عبرت القوات المصرية قناة السويس لتحرير سيناء، ولم تتمكن إسرائيل من استعادة توازنها إلا بعد جسر جوي من الأسلحة الأميركية [9] ومع ذلك، وجه "السادات" الدولة المصرية لاحقًا نحو "التطبيع" مع إسرائيل [10] وتم تحفيز السكان إلى الابتعاد عن الاحتجاج من خلال المساعدات الأميركية المقدمة مقابل ما أصبح معاهدة السلام عام 1979 بين مصر وإسرائيل [11] وفي الوقت نفسه، فقد الفلسطينيون مركزيتهم في الخطاب العام المصري، بل واتهمهم البعض بأنهم مسؤولون عن محتهم [12] وعلى مدار أكثر من 40 عامًا، عملت الأنظمة المصرية المتعاقبة على ترسيخ الوجود الإسرائيلي كحقيقة من حقائق الحياة [13]

وكان المبرر هو ادعاء "السادات" بأن "الولايات المتحدة تمتلك 99% من الأوراق في الشرق الأوسط"، وبالتالي لا جدوى من مقاومتها [14] وكان الهدف هو إلغاء سنوات من العلاقة السياسية والاجتماعية والثقافية بين المصريين والفلسطينيين، الذين اتحدوا في مقاومة الاستعمار البريطاني قبل سنوات من تأسيس إسرائيل [15]

ومع ذلك، لم يكن هذا المشروع ناجحًا أبدًا، وكانت المظاهرات التضامنية مع الفلسطينيين تندلع باستمرار [16] وسمحت قيادة "حسني مبارك" بهذه الاحتجاجات من أجل صرف الانتباه عن مشاكل الناس الداخلية [17] ومع ذلك، مهدت الاحتجاجات في نهاية المطاف الطريق للانتفاضة يناير 2011 [18] في عهد "عبد الفتاح السيسي"، تم حظر جميع التجمعات الجماهيرية: فُنع المصريون من التعبير عن تعاطفهم مع الفلسطينيين، بينما طُلب منهم التركيز على تغطية نفقاتهم [19] وكما لاحظ البعض بذكاء، فقد ترك هذا مصر في حالة شذوذ إقليمي، مع عدم وجود مظاهرات تضامن خلال الانتفاضة الفلسطينية في مايو 2021.

لكن الأمر لم يكن كذلك في أكتوبر 2023؛ فقد أثار إفلات إسرائيل العنيف من العقاب رد فعل شعبي في مصر لا يمكن احتواؤه [20] بالنسبة للمصريين، كانت أحداث 7 أكتوبر بمثابة إشارة إلى كسر الفلسطينيين لحصارهم، الذي خرق تدفق الأخبار المستمر عن الانتهاكات والاعتقالات والإعدامات والاستيلاء على الأراضي في القدس والضفة الغربية وغزة [21] ثم شعر المصريون بالعجز مع بدء القصف، خاصة في ضوء قربهم الجغرافي من غزة [22] وقصفت إسرائيل معبر رفح على الحدود بين مصر وغزة مرارًا وإعاقة مرور قوافل المساعدات [23] ومع استمرار تدفق الصور المدمرة، تصاعد حزن المصريين وغضبهم [24] وتستضيف المساجد جنازات متواصلة لتصبح مساحات لمعالجة جماعية للفظائع التي تتكشف [25] وقد تطورت هذه الموجة القوية من التعاطف إلى رغبة في الحصول على الدعم النشط [26] وفي ظل المناخ السياسي الخانق في مصر، لجأ الكثيرون إلى أداة المقاطعة، مستهدفين الشركات الغربية المعروفة بدعمها لإسرائيل [27] بالنسبة للشباب المصري على وجه الخصوص، كانت وحشية إسرائيل والدعم القوي من الغرب بمثابة دعوة للاستيقاظ [28]

ولفت "الجارديان" إلى أنه منذ اتفاقيات كامب ديفيد، نظر العديد من الشباب المصري إلى الثقافة الشعبية والاستهلاكية الغربية، ونادرًا ما شككوا في مصداقية لغة حقوق الإنسان والديمقراطية السياسية [29] بين عشية وضحاها تقريبًا، تحطمت هذه الأساطير بالنسبة لملايين المصريين، وهم يشاهدون التأييد لإسرائيل يتدفق من واشنطن وبروكسل ولندن، بينما تستمر المذبحة في غزة [30] ويقال، إن بعض العاملين في قطاع المنظمات غير الحكومية يناقشون بدائل التمويل الغربي، ويعربون عن قلقهم العميق إزاء اعتمادهم عليه [31]

وينطبق الشيء نفسه على فهم العديد من المصريين لتواطؤ القوى الإقليمية، وخاصة الموقعين على اتفاقيات أبراهام مثل الإمارات والسعودية، التي كانت تعد اتفاقها الخاص وقاطع فنانون مصريون مهرجاً فنياً أقيم مؤخراً في الرياض، وأولئك الذين ذهبوا تعرضوا لانتقادات شديدة وفي هذا الشهر، بدأت نقابة الصحفيين المصريين في تنظيم فعالية فلسطينية تتضمن أغاني من المقاومة الشعبية في السويس عام 1956. ومنذ ذلك الحين أطلقت "قافلة الضمير العالمي"، داعية إلى تشكيل تحالف دولي من المتطوعين للذهاب إلى رفح للضغط على إسرائيل للسماح بدخول المزيد من المساعدات من خلال والمطالبة بإنهاء الحرب في غزة وغني عن القول، قبل وبعد الهدنة المؤقتة، أن الرأي العام المصري يعارض خطة سيناء باعتبارها مرحلة جديدة من التطهير العرقي في فلسطين

وتابعت "الجارديان": "هذه هي أجواء التعبئة والإحباط التي تحيط بالنظام المصري ولدى القيادة مخاوفها الخاصة منذ فترة طويلة من أن إسرائيل تريد "تصدير" الصراع إلى مصر - وقد تأكد ذلك من خلال تسريب وثيقة استخباراتية إسرائيلية مؤرخة في 13 أكتوبر، تقترح "نقل" فلسطيني غزة إلى شبه جزيرة سيناء وهذا يعني إيواء آلاف اللاجئين، ويشكل خطر اجتذاب المصريين إلى صفوف الجماعات الفلسطينية المسلحة، أو الدعوة إلى شن ضربات إسرائيلية، أو ما هو أسوأ من ذلك وبدعم كامل من الولايات المتحدة، مارست إسرائيل ضغوطاً على مصر للقبول، لكن "السياسي" دعا إلى مؤتمرات قمة عربية وتحديث مع القادة الأمريكيين والأوروبيين، وفي كل مرة كرر رسالة الرفض".

وقد حاول النظام تحقيق ذلك بمساعدة الشعب المصري وفي 18 أكتوبر، وبدون أي مفارقة، قال "السياسي"، إنه يمكن تعبئة "الملايين" لمقاومة الضغوط الأمريكية الإسرائيلية وسرعان ما تمت مشاركة المواقع المحددة عبر الإنترنت وخطط "السياسي" لاستخدام هذا لامتناس الغضب الشعبي، وإرسال رسالة إلى الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي وإسرائيل مفادها أنه ببساطة لا يستطيع قبول خطة سيناء دون المخاطرة بموقفه

وكما حدث، انتهى الأمر بالعديد من المشاركين إلى الخروج عن النص، وتوجهوا إلى ميدان التحرير بل إن البعض رددوا شعار انتفاضة 2011 "عيش حرية عدالة اجتماعية"، وأصروا على أن "هذه مظاهرة حقيقية وليست تكتلياً لأحد". واعتقلت الشرطة أكثر من 100 شخص، وأُحيط ميدان التحرير منذ ذلك الحين بالمركبات المدرعة ومع ذلك، فقد تحدثت شخصيات مثل شيخ الأزهر "محمد الطيب" علناً، وأيدت المقاومة الفلسطينية، وطالبت بإعادة تقييم علاقات مصر مع الغرب

وختتمت "الجارديان": "شعبية فلسطين بلغت حدًا جعل النظام قادراً على تسخيرها - على الرغم من سجله الخاص - لتحقيق النفوذ المحلي والدبلوماسي ومع ذلك، فإن هذه الشعبية تعني أنه يجب عليها أيضاً أن تظل في الطليعة، سواء عن طريق الاحتواء أو القمع، خشية أن يتحول النشاط الفلسطيني إلى احتجاجات داخلية كما حدث من قبل وفي غياب المعارضة المنظمة، قد يستغرق تطوير هذه العملية سنوات، ولكن يبدو أن الدروس المستفادة اليوم - التمييز بين الصديق والعدو، والحقيقة من الأكاذيب، والقوة من المقاومة - تعمل على تفاقم المظالم الشعبية ووفقاً لأحد الأصدقاء، فإن المصريين يتفحصون أنفسهم بعد سنوات من هزيمة ما بعد الثورة: "نحن مثل شخص يقف على قدميه، بعد ضربة قاسية".

<https://www.theguardian.com/commentisfree/2023/nov/29/war-gaza-egyptians-palestine-israel-hamas-protest-marches>